بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة بعنوان: بر الوالدين زينة الأعياد

بر الوالدين من أحب الأعمال إلى اللّه

طريق رضا اللّه يبدأ من باب الوالدين.. فاحذروا العقوق

العيدُ الحقيقي يبدأ من باب الوالدين

العقوق خسران في الدنيا والآخرة وجريمة تغلق أبواب الرحمة

بقلم الدكتور عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

أحمد علي سليمان

الجمعة: ١ شوال ١٤٤٧هـ / ٢٠ مارس ٢٠٢٦م صفحة معارج الدعاة موقع صوت الدعاة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن نبي وحده.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبدُه ورسولُه، خَاتَمُ الأنبياء والمرسلين، وإمام الصابرين، وقائد المجاهدين، وأوفى الناس أجمعين، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وعلى مَن تبعه بإيمان وإحسان إلى يوم الدين...

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمِعت كلُّ الكمالات فيه... وعلى آله وصحبه وتابعيه..

فمَبْلَغُ العِلمِ فِيهِ أنَّهُ بَشَرٌ وَأنَّهُ خَيْرُ خَلقِ اللّهِ كلهم

مَوْلايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أبَدًا عَلى حَبِيبِكَ خَيْرِ الخَلقِ كلهم

اللهم رَضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا يا ربنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (الأحزاب: ٧٠).

وقال الجليل (جلَّ وعلا): (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

أما بعد...

استهلال:

أيها المؤمنون:

- **اشكروا الله على ما هداكم إليه من الصيام والقيام، واستجلبوا شكر الله لكم كما تجلّى في قصة الرجل الذي سقى الكلب -الذي كان يلهث يأكل الثرى من العطش- فشكر الله له.**
- **كان بعضُ السلف الصالح يدعون الله ستةَ أشهر أن يبلِّغهم رمضان، ويدعونه ستةَ أشهر أخرى أن يتقبل منهم رمضان.**
- **اللهم عمر قلبي، وعقلي، ووجداني، وجسمي، ونفسي، ولساني بكلِّ خير.**
- **اللهم اجعل الأنوار تسري في جَناني، ووجداني، وبَناني، وبياني، ولساني، يا ربّ العالمين.**

في البداية نهنئ المسلمين في شرق الأرض وغربها، وفي شمالها وجنوبها، في طولها وعرضها وعمقها؛ على ما وفقنا الله تعالى إليه من الصيام والقيام وتلاوة القرآن والعطاء وبر الوالدين وصلة الأرحام.

كما نهنئ الجميع بعيد الفطر المبارك، أعاده الله تعالى علينا ونحن في غاية الصحة والسعادة والعافية، وعلى مصرنا الغالية (قيادة وحكومة وشعبا طيبا أصيلا)، وعلى أمتنا الإسلامية بالعز والتمكين. اللهم آمين يا رب العالمين..

يا رب:

ربِّ هب لي المتاب حتى أتوب *** وأحيي قلبي في يوم تحيا القلوب
تعست ليلة عصيتك فيها *** كيف لا أستحي وأنت الرقيب
يا مداوي السقام داوِ سقامي *** إن سقمَي قد حار فيه الطبيب
غَرِّدي يا أيكُ فالقَمري صبح *** واسعدي يا نفسُ فالحقُّ وضحُ
يا مداوي العباد هب لي دواءً *** إن دائي بالقربِ منك يطيبُ

طريقُ رضا الله يبدأ من باب الوالدين... فاحذروا العقوق:

إذا كان الله (سبحانه وتعالى) يقول: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ...) (الكهف: ٤٦)، فما بالُ ذلك العاق الذي يُعكِّر صفوَ حياةِ والديه، ويُنغِّص أيامَهما، ويستجلب لهما كلَّ همٍّ وغم وألم وحزن؟.

ويزداد الأمر قسوة حين يشتدُّ العقوق في يوم العيد؛ فبدلا من أن يكون العيدُ بابًا للسعادة والإسعاد، وموسمًا للانشراح والأفراح التي شرعها الله لترويح النفوس في خضمّ تحديات الحياة ومكدِّراتها، يأتي العقوق ليقلب موازين الفطرة، ويطفئ أنوار الفرح في الحياة، ويعكّر أسرجة البهجة في نفوس الوالدين والأقربين، والأغرب والأدهش والأغلب أنَّ هذا العاق لوالديه يكون لطيفًا جدًّا ومُهذبًا مع الآخرين.

إن العاق يأتي ليهدم في قلب الوالدين كلَّ جميلٍ صنعاه في تربية أبنائهما، بعد ليالٍ من السهر، وسنواتٍ من التعب والبذل والعطاء.

ويا لها من أحزانٍ تدمي القلوب، وتوقد في جوانبها فتيلَ الهلاك والموت البطيء! ولو علم هؤلاء ما يصنعه صنيعهم في قلوب والديهم، وكيف يُحرِّك في نفوسهما آلةَ الألم القاتل الذي لا يرحم ضعفهما ولا صبرهما، لارتدعوا قبل فوات الأوان.

البداية التي يجب أن نعلمها جيداً

أولا: الوالدان أغلى البشر في هذه الحياة بعد الأنبياء والمرسلين

نتحدث اليوم عن أغلى البَشر في الوجود بعد الأنبياء والمرسلين... نعم، لن تشعر ببركة الوالدين وفضلهما وأهميتهما إلا بعد فقدهما. فبعد فراقهما لا يمكن أن تصف الكلمات آلام الفقد.

فلا حنان منشود بعد الأم والأب إلا مَن رحم الله.

ولا حُبّ فياض بعد حبّهما.

ولا حرص على مصلحتك أعظم مِن حرص الأب والأم.

ولا ولا ولا...

إنهما مَن تعبا وسهرا وضحيا من أجلنا، واحتملا الآلام والأوجاع لأجل راحتنا. لقد كانا لنا مدرسةً في الحنان والعطاء، وقد عظَّم الله (تعالى) شأنهما، ورفع مكانتهما، وجعل برهما من أعظم القربات إليه (جلَّ وعلا).

ثانيا: بر الوالدين من الواجبات العشرة على كل مسلم

الإسلامُ عدَّ بِرَّ الوالدين والإحسان إليهم من الواجباتِ العَشرة التي أمرَ اللهُ (سبحانه وتَعالى) بها المسلمينَ في الآية رقم (٣٦) من سورةِ النساء، على النَّحو التالي:

- الواجبُ الأوَّل: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)
- الواجبُ الثّاني: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)
- الواجبُ الثّالث: (وَبِذِي الْقُرْبَىٰ)
- الواجبُ الرّابع: (وَالْيَتَامَىٰ)
- الواجبُ الخامس: (وَالْمَسَاكِينِ)
- الواجبُ السّادس: (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ)
- الواجبُ السّابع: (وَالْجَارِ الْجُنُبِ)
- الواجبُ الثّامن: (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ)
- الواجبُ التّاسع: (وَابْنِ السَّبِيلِ)
- الواجبُ العاشر: (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا).

نعم إن من أهم ما أمر الله (تعالى) به: بر الوالدين (الأم والأب، ومن يقوم مقامهما، وصلة الرحم.

وقد جاء الأمر بِبر الوالدين والإحسان إليهما ثم صِلةِ الرَّحم في القرآن العظيم، في كثيرٍ من الآيات، ومنها قولُه تعالى: (وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا) ويَليها مباشرة: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ويَليها أيضًا: (وَبِذِى الْقُرْبَى) (النساء: ٣٦).

تأمَّلْ معي عزيزي القارئ الكريم رَوعةَ السِّياق القرآني المعجز، حيث أتَى الأمرُ بالإحسانِ إلى الوالدَيْن والأرْحام بعدَ الأمْر بعِبادةِ الله (جلَّ وعلا) مباشرة؛ ليؤكدَ مكانتهما وحقوقهما.

ولقد جاءت نصوص القرآن الكريم تحث على بر الوالدين، وخصصت الأم بمزيد من العناية؛ نظرًا لما تبذله من جهد عظيم في تربية الأبناء، من ذلك قول الله (عز وجل): (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ

وَّفِصَالُه فِيْ عَامَيْنِ اَنِ اشْكُرْ لِيْ وَلِوَالِدَيْكَۗ اِلَيَّ الْمَصِيْرُ) (لقمان: ١٤). وعن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: (أُمُّكَ)، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: (ثُمَّ أبُوكَ) (١).

وقال سبحانه: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) (الإسراء: ٢٣).

من هذا نستخلص عدة محددات أساسية في بر الوالدين:

١. قرن الله تعالى شكر الوالدين بشكره (جل وعلا) مباشرة بعده، ليكون الإحسان إليهما وشكرهما امتدادًا لشكر الحق (سبحانه وتعالى).
٢. عطف الله بر الوالدين بعد الأمر بعبادته مباشرة: للدلالة على عظيم حقهما وعلو منزلتهما ولأن برهما يعدّ من أعظم الطاعات.
٣. الإحسان إليهما عام يشمل في كل جوانب الحياة: إذ لا يقتصر البر على القول الطيب، بل يشمل الفعل الحسن، والحب والرحمة، والحرص على راحتهما وكرامتهما في كل تصرفاتنا، وتوفير ما يحتاجون إليه لاسيما في حال كبرهما وعجزهما..
٤. التحذير من الإهانة أو التقصير: فقد نهى الله تعالى عن مجرد التأفف لهما، فما بالكم بالإهانة أو التقصير في حقوقهما، فكل ما هو دون الإحسان يعدُّ تقصيرًا.
٥. الخصوصية في حق الأم: إذ حمّل اللهُ الأم مسؤولية عظيمة في حمل الولد ورضاعه ورعايته، فجعل لها ذكرًا خاصًا في القرآن، ليعرف كل عبد قدر فضلها.
٦. الحرص على قول الكلمة الطيبة في كل وقت عمومًا وعند الكبَر خصوصًا: فاللسان أداة البرّ اليومية، فحتى أبسط الكلمات مثل: "شكر الله لكم"، "الله يبارك فيكم"، "لا تقلقوا"، "أنا تحت أمرتكم وخادم لكم"، "أنا مهما فعلت ل أوفيكم ذرة من بحار فضلكم وحقوقكم "، يمكن أن تصنع فرقًا كبيرًا في قلب والديك.
وعندما يكبران، يكون الصبر على مزاجهما المتقلب، بسبب السن والأدوية والتحدث إليهما بلطف أقوى برّ عملي، بعيدًا عن الانفعال أو الصراخ أو أي انزعاج؛ حتى تكون حياتهما مليئة بالمودة والسكينة...
واعلم أنهما الطريق إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر..

ثالثا: بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله

في حياة الإنسان أعمالٌ كثيرة، لكنها لا تُقاس بالعدد، بل بمدى حب الله (سبحانه وتعالى) لها وتقديره إياها، ومن أعظم ما يحبّه الله تعالى ويرتقي بدرجات العبد: الصلاة في وقتها – وبر الوالدين – والجهاد في سبيله.

فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) **سَألْتُ النبي (ﷺ): أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّه؟**

قالَ (ﷺ): (الصَّلَاةُ علَى وقْتِهَا)

قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟

قالَ (ﷺ): (برُّ الوَالِدَيْنِ)

قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: (الجِهَادُ في سَبيلِ اللَّهِ)

قالَ: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي (٢) (ﷺ).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

وسبحان الله! لقد جعل النبي (عليه الصلاة والسلام) بِرَّ الوالدين في مرتبة عالية جدًّا، قبل الجهاد في سبيل الله، للدلالة على عظيم قدرهما وعلو مكانتهما عند الله (سبحانه وتعالى).

وهذا الترتيب النبوي يكشف منزلة هذا العمل في ميزان الإيمان، إذ أسهم برُّ الوالدين في فتح أبواب الخير للعبد في دنياه وأخراه؛ فهو سبب لرضا الله، ومفتاح للبركة في العمر والرزق، وباب واسع من أبواب الجنة.

وفي المقابل فإن عقوق الوالدين من أخطر الذنوب التي تفسد القلب وتذهب بركة الحياة؛ حتى إن النبي ﷺ عدَّه من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله. والعقوق ليس بالضرورة كلمات قاسية فحسب، بل قد يكون إهمالًا أو جفاءً أو انشغالًا دائمًا يترك الوالدين في وحدةٍ وألم. ومن تأمل أحوال الناس وجد أن من أعظم أسباب ضيق الصدر وذهاب البركة قطيعة الوالدين أو التقصير في حقهما، لأن دعاءهما سرٌّ من أسرار التوفيق في حياة الأبناء.

ولا ينقطع البرُّ بوفاة الوالدين؛ فصلة القلب بهما تستمر بالدعاء والوفاء. ومن أجمل ما يهديه الابن لوالديه بعد رحيلهما أن يكثر من الدعاء والاستغفار لهما، وأن يتصدق عنهما، وأن يصل رحمهما، وأن يكرم أصدقاءهما؛ فهذه الأعمال امتدادٌ لمعنى البر الذي أسهم في بناء شخصية الأبناء منذ طفولتهم.

تأملات!!

- كلُّ ذرةٍ في جسمك، وكلُّ خليةٍ في كيانك، ما كان لها أن تكون إلا بأمر الله (سبحانه وتعالى)، الذي جعل والديك سببًا في وجودك، ووسيلةً لظهورك في هذه الحياة.
- كلُّ ذرةٍ في جسمك تشهد بنعمة الله عليك، وتذكِّرك بفضل والديك؛ فاشكر الله أولًا، ثم برَّهما شكرًا عمليًّا بحب وبشكل مستدام لا ينقطع.
- ما تحمله اليوم من علم وخبرةٍ وخير هو عطيةٌ من الله أولًا، ثم أثرُ والديك اللذين رعيا نشأتك وربياك صغيرًا...
- الإحسان إلى الوالدين أمرٌ إلهيٌّ عظيم، وليس منَّةً من الأولاد ولا تفضُّلًا؛ بل هو أقلُّ ما يمكن أن يُقدَّم لهما وفاءً لحقهما وفضلهما.
- مِن بركة العمر أن يفتح اللهُ (تعالى) للعبد بابَ برّ والديه؛ فهو طريقٌ قريب ومُمهد ومُعبَّد إلى رضوان الله.
- كثيرٌ من الناس يتمنون لحظةً يعود فيها والدهم أو والدتهم إلى الحياة ليحسن إليهما؛ فلا تؤجِّل البر والإحسان ما دام الباب مفتوحًا.
- برُّ الوالدين لا يقف عند حدود الكلمات؛ بل يظهر في العناية والرعاية، وتوفير متطلباتهم، والرحمة، والصبر، وخفض الجناح، وحسن الصحبة...إلخ.
- يا عباد الله: مَن أراد البركة في عمره، وسَعَة الرزق في حياته، فليلزم بابَ والديه برًّا وإحسانًا.
- حتى بعد رحيل الوالدين يبقى بابُ البرّ مفتوحًا: بالدعاءِ لهما، والصدقةِ عنهما، وصلةِ مَن كانا يُحبّانِه.
- اعلم أيها البَار وأيها العَاق: أنَّ الأيامَ دُوَلٌ، وكما تَدين تُدان، وبالكيلِ الذي كِلتَ به يُكالُ لك.

وهذه التأملات تفتح بابًا واسعًا من أبواب الاعتراف بالفضل؛ فكما أن الخالق (سبحانه وتعالى) هو المنعم الأول، فقد جعل للوالدين نصيبًا من الشكر والبر.

بر الوالدين زينة الأعياد والأيام والحياة:

حين يطلُّ العيد على الناس بوجهه الباسم الحاني الجميل، تمتلئ القلوب بالفرح والسرور والحبور، وتزدحم البيوت والطرقات والنوادي والمنتديات بالتهاني والزيارات، غير أنَّ أجملَ ما يتزيَّن به العيد قلبٌ رحيم يعرف طريقه إلى برِّ والديه.

فالعيد ليس ثيابًا جديدة فحسب، ولا موائد عامرة فقط، وإنما هو قبل ذلك كلِّه رحمةٌ تسكن القلوب، وبرٌّ يفيض على الوالدين؛ لأنهما أصل الوجود وسبب الحياة.

ولذلك –كما أشرنا– قرن الله الإحسان إليهما بتوحيده وعبادته فقال سبحانه: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء: ٢٣-٢٤)، وكأنَّ الرسالة الإيمانية تُذكِّر الأولاد بأنَّ طريق رضا الله يبدأ من باب الوالدين.

وتتجلَّى معاني البرِّ في الأعياد بصورةٍ أعمق وأجمل؛ فليلة العيد فرصةٌ لتجديد المودة، بكلمةٍ حانية أو اتصالٍ يطمئن قلب الأب أو الأم إن كانا بعيدين.

فإذا أشرق صباح العيد كان من كمال الوفاء أن يبدأ الابن يومه بزيارة والديه، فيهنئهما ويقبِّل أيديهما ويجلس معهما، فإنَّ لحظات الجلوس معهما قد تكون عندهما أغلى من هدايا كثيرة. وليس المقصود بالزيارة المرور العابر من باب تأدية الواجب أمام الناس!! كلا، بل حضورًا صادقًا يملأ القلب رحمةً ووفاءً، فكم من أمٍّ يكتمل عيدها حين ترى أولادها مجتمعين حولها.

طيب ومن فقد والديه فليعلم أن باب البر ما يزال مفتوحًا بالدعاء والصدقة والوفاء، حتى يظل حبل المحبة ممتدًا بين والأولاد وآبائهم في الدنيا والآخرة.

العيدُ الحقيقي يبدأ من باب الوالدين

إذا كان الناسُ يفرحون بالعيد، فإن الوالدين يفرحان بأبنائهما.

وكم من أمٍّ تنتظر يوم العيد لتسمع صوت ولدها، وكم من أبٍ يترقَّب خطوات ابنه على باب الدار!

فمن أراد عيدًا مباركًا فليبدأ بإرضاء والديه.

أوقات برِّ الوالدين في العيد

برُّ الوالدين عبادةٌ دائمة، غير أنَّ الأعياد مواسم يتأكد فيها البر أكثر وأكثر، ومن أبرز أوقاته:

١. ليلة العيد

ليلة العيد لحظةُ شوقٍ وفرح، ومن أبهى صور البر فيها:

- المبادرة بالاتصال إن كانا بعيدين.
- تقبيل أيديهما ورأسيهما
- إدخال السرور عليهما بكلمةٍ حانية ونظرة محبة فربَّ كلمةٍ صادقةٍ ليلة العيد تملأ قلب الأم فرحًا أيامًا طويلة.

٢. صباح العيد

من أجمل ما يبدأ به المسلم يوم العيد:

- زيارة الوالدين قبل غيرهما
- تهنئتهما بالعيد
- تقبيل أيديهما ورأسيهما

وأهل الوفاء يرون أنَّ أول بابٍ يُطرق يوم العيد هو باب الوالدين.

٣. أثناء يوم العيد

ومن مظاهره:

- الجلوس معهما
- إدخال السرور عليهما
- قضاء حوائجهما

فقد تكون ساعةٌ مع الوالدين أثقل في الميزان من زياراتٍ كثيرةٍ لا روح فيها.

٤. ختام يوم العيد

قبل أن ينقضي يوم العيد:

- سؤال الوالدين عن حاجتهما
- الدعاء لهما
- شكرهما؛ فكلمة الامتنان دواءٌ لقلبيهما، وسرورٌ لا يُقدَّر بثمن.

فضائل بر الوالدين

برُّ الوالدين من أعظم القربات التي ترفع الدرجات وتفتح أبواب الخير.

١. من أحب الأعمال إلى الله

بر الوالدين عبادةٌ تأتي في ذروة الأعمال الصالحة، وقد أشرنا إلى ذلك في حديث عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال **سألتُ النبي (ﷺ): أيُّ العمل أحبَّ إلى الله؟**

قالَ (ﷺ): (الصَّلاةُ على وقْتِهَا)

قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟

قالَ (ﷺ): (برُّ الوَالِدَيْنِ)

قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: (الجِهَادُ في سَبيلِ اللَّهِ)

قالَ: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي [٣] (ﷺ).

٢. طريقٌ واسع إلى الجنة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (رَغِمَ أنفُ ، ثُمَّ رَغِمَ أنفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنفُ، قيلَ: مَن يا رَسولَ اللهِ؟ قال: مَن أدرَكَ أبَويه عِندَ الكِبَرِ أحَدَهما أو كِلَيهما فلَم يَدخُلِ الجَنَّةَ) [٤].

ورَغِمَ أنفُ: أي ذلَّ وخضع ولصق أنفُهُ بالرَّغام (وهو التراب)، وهي كناية عن الهوان والذلّ الشديد.

ويُستعمل هذا التعبير في اللغة العربية للدعاء على الشخص أو بيان خسارته، مثل: "رَغِمَ أنفُه "أي: خابَ وخسر وذلّ.

٣. سبب للبركة في العمر والرزق

البرُّ بالوالدين يجلب البركة ويزرع الخير في الحياة؛ لأنَّ دعاءهما نورٌ في طريق الأبناء. يوقل سيدنا النبيّ (ﷺ) قال: (مَن سَرَّهُ أنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، أوْ يُنْسَأَ له في أثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) [٥].

٤. سبب لتفريج الكرب

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

وقد أسهم برُّ الوالدين في نجاة أصحاب الغار حين انطبقت عليهم الصخرة، فكان برُّ أحدهم بوالديه سببًا في تفريج الكربة.

عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) أنَّ رَسولَ اللهِ (ﷺ) قال: بينَما ثَلاثةُ نَفَرٍ مِمَّن كان قَبلَكُم يَمشونَ إذ أصابَهم مَطَرٌ، فأوَوا إلى غارٍ فانطَبَقَ عليهم، فقال بَعضُهم لبَعض: إنَّه واللهِ يا هؤلاء لا يُنجيكُم إلَّا الصِّدقُ، فليَدعُ كُلُّ رَجُل منكم بما يَعلَمُ أنَّه قد صَدَقَ فيه، فقال واحِدٌ منهم: اللهُمَّ إن كُنتَ تَعلَمُ أنَّه كان لي أجيرٌ عَمِلَ لي على فَرَقٍ مِن أرُزٍّ، فذَهَبَ وتَرَكَه، وأنِّي عَمَدتُ إلى ذلك الفَرَقِ فزَرَعتُه، فصارَ مِن أمرِه أنِّي اشتَرَيتُ منه بَقَرًا، وأنَّه أتاني يَطلُبُ أجرَه، فقُلتُ له: اعمِدْ إلى تلك البَقَرِ فسُقْها، فقال لي: إنَّما لي عِندَك فَرَقٌ مِن أرُزٍّ، فقُلتُ له: اعمِدْ إلى تلك البَقَرِ فإنَّها مِن ذلك الفَرَقِ، فساقَها، فإن كُنتَ تَعلَمُ أنِّي فعَلتُ ذلك مِن خَشيَتِك ففَرِّجْ عَنَّا، فانساحَت عنهمُ الصَّخرةُ، فقال الآخَرُ: اللهُمَّ إن كُنتَ تَعلَمُ أنَّه كان لي أبَوانِ شيخانِ كَبيرانِ، فكُنتُ آتيهما كُلَّ لَيلةٍ بلَبَنِ غَنَمٍ لي، فأبطَأتُ عليهما لَيلةً، فجِئتُ وقد رَقَدا، وأهلي وعيالي يَتَضاغَونَ مِنَ الجوعِ، فكُنتُ لا أسقيهم حتَّى يَشرَبَ أبَوايَ، فكَرِهتُ أن أوقِظَهما، وكَرِهتُ أن أدَعَهما، فيَستَكِنَّا لشَربَتِهما، فلَم أزَلْ أنتَظِرُ حتَّى طَلَعَ الفَجرُ، فإن كُنتَ تَعلَمُ أنِّي فعَلتُ ذلك مِن خَشيَتِك ففَرِّجْ عَنَّا، فانساحَت عنهمُ الصَّخرةُ حتَّى نَظَروا إلى السَّماءِ، فقال الآخَرُ: اللهُمَّ إن كُنتَ تَعلَمُ أنَّه كان لي ابنةُ عَمٍّ مِن أحَبِّ النَّاسِ إليَّ، وأنِّي راوَدتُّها عن نَفسِها فأبَت، إلَّا أن آتيَها بمِئةِ دينارٍ، فطَلَبتُها حتَّى قدَرتُ فأتَيتُها بها فدَفَعتُها إليها، فأمكَنَتني مِن نَفسِها، فلَمَّا قَعَدتُ بينَ رِجلَيها فقالت: اتَّقِ اللهَ ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلَّا بحَقِّه، فقُمتُ وتَرَكتُ المِئةَ دينارٍ، فإن كُنتَ تَعلَمُ أنِّي فعَلتُ ذلك مِن خَشيَتِك ففَرِّجْ عَنَّا، ففَرَّجَ اللهُ عنهم فخَرَجوا) [٦].

خطورة عقوق الوالدين:

"خلي بالك" وانتبه!

كما أنَّ البرَّ من أعظم الطاعات، فإنَّ العقوق من أكبر الكبائر.

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (ألا أُنَبِّئُكُم بأكبَرِ الكَبائِرِ؟ ثَلاثًا، قالوا: بَلى يا رَسولَ اللهِ، قال:

- الإشراكُ باللهِ،
- وعُقوقُ الوالِدَينِ وجَلَسَ وكان مُتَّكِئًا فقال
- ألا وقَولُ الزُّورِ، قال: فما زالَ يُكَرِّرُها حتَّى قُلنا: لَيتَه سَكَتَ) [٧].

فتأمّلوا هذا الاقتران بين الشّرك بالله، وعقوقِ الوالدين، وقولِ الزور! يا لها من رسالةٍ نبويةٍ مرعبةٍ للعاقِّ لوالديه أن يُجعل في هذه الفئة الخطيرة!

فالعقوقُ جريمةٌ تهزُّ الفطرة، وتكسرُ القلوب.

ومن آثار العقوق:

- ضيق الصدر
- ذهاب البركة
- تعجيل العقوبة في الدنيا

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (كلُّ الذنوبِ يؤخِّرُ اللهُ تعالى ما شاء منها إلى يومِ القيامةِ إلَّا عُقوقَ الوالدينِ؛ فإنَّ اللهَ يعجِّلُه لصاحبِه في الحياةِ الدنيا قبل المماتِ) (٨).

النبي يحذرنا من العقوق:

عن المغيرة بن شعبة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (إنَّ اللهَ حَرَّمَ عليكم عُقوقَ الأُمَّهاتِ، ومَنعًا وهاتِ، ووأدَ البَناتِ، وكَرِهَ لَكُم: قيلَ وقالَ، وكَثرةَ السُّؤالِ، وإضاعةَ المالِ) (٩).

عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (الكَبائِرُ: الإشراكُ باللهِ، وعُقوقُ الوالِدَين، وقَتلُ النَّفس، واليَمينُ الغَموسُ) (١٠).

عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (الكَبائِرُ: الإشراكُ باللهِ، وعُقوقُ الوالِدَين، أو قال: اليَمينُ الغَموسُ. شَكَّ شُعبةُ، وقال مُعاذٌ: حَدَّثَنا شُعبةُ، قال: الكَبائِرُ: الإشراكُ باللهِ، واليَمينُ الغَموسُ، وعُقوقُ الوالِدَين، أو قال: وقَتلُ النَّفس) (١١).

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (ألا أُخبِرُكُم بأكبَرِ الكَبائِرِ؟ قالوا: بَلى يا رَسولَ اللهِ، قال: الإشراكُ باللهِ، وعُقوقُ الوالِدَين). [وفي روايةٍ]: (وكان مُتَّكِئًا فجَلَسَ، فقال: ألا وقَولُ الزُّور، فما زالَ يُكَرِّرُها حتَّى قُلنا: لَيتَه سَكَتَ) (١٢).

عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (إنَّ مِن أكبَرِ الكَبائِرِ أن يَلعَنَ الرَّجُلُ والِدَيه. قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، وكيفَ يَلعَنُ الرَّجُلُ والِدَيه؟! قال: يَسُبُّ الرَّجُلُ أبا الرَّجُلِ، فيَسُبُّ أباه، ويَسُبُّ أُمَّه) (١٣).

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (أكبَرُ الكَبائِرِ: الإشراكُ باللهِ، وعُقوقُ الوالِدَين، وشَهادةُ الزُّور، وشَهادةُ الزُّور ثَلاثًا أو: قَولُ الزُّور، فما زالَ يُكَرِّرُها حتَّى قُلنا: لَيتَه سَكَتَ) (١٤)..

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (ألا أُنَبِّئُكُم بأكبَرِ الكَبائِرِ؟ قُلنا: بَلى يا رَسولَ اللهِ، قال: الإشراكُ باللهِ، وعُقوقُ الوالِدَين، وكان مُتَّكِئًا فجَلَسَ فقال: ألا وقَولُ الزُّور، وشَهادةُ الزُّور، ألا وقَولُ الزُّور، وشَهادةُ الزُّور)، فما زالَ يقولُها حتَّى قُلتُ: لا يَسكُتُ (١٥).

عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) عَنِ النَّبيِّ (ﷺ)، قال: (أكبَرُ الكَبائِرِ: الإشراكُ باللهِ، وقَتلُ النَّفس، وعُقوقُ الوالِدَين، وقَولُ الزُّور، أو قال: وشَهادةُ الزُّور) (١٦).

عن المغيرة بن شعبة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (إنَّ اللهَ حَرَّمَ عليكم: عُقوقَ الأُمَّهاتِ، ووأدَ البَناتِ، ومَنَعَ وهاتِ، وكَرِهَ لَكُم قيلَ وقال، وكَثرةَ السُّؤالِ، وإضاعةَ المالِ) (١٧).

---

(٨) السيوطي الجامع الصغير – صحيح. وأخرجه قوام السنة الأصفهاني في الترغيب والترهيب، والحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان مطولا، وجميعا بلفظه..
(٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ومسلم باختلاف يسير
(١٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه وهو من افراد البخاري على مسلم.
(١١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وهو من افراد البخاري على مسلم.
(١٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وأخرجه مسلم ، والترمذي ، وأحمد باختلاف يسير.
(١٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وأخرجه الإمام مسلم باختلاف يسير.
(١٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وأخرجه أخرجه مسلم ، والترمذي ، وأحمد باختلاف يسير
(١٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ومسلم والترمذي وأحمد باختلاف يسير.
(١٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.
(١٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.

الموت لا يقطع حبل البر؛ بل يفتح باباً آخر من الوفاء.

عن مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي (رضي الله عنه) قال: بينا نحن جلوسٌ عند رسولِ اللهِ (ﷺ) إذ جاء رجلٌ من بني سلمةَ فقال يا رسولَ اللهِ هل بَقِي من برِّ أبوَيَّ شيءٌ أبرُّهما به بعد موتِهما قال: (نعم الصَّلاةُ عليهما والاستغفارُ لهما وإنفاذُ عهدِهما من بعدِهما وصلةُ الرَّحِمِ الَّتي لا تُوصَلُ إلَّا بهما وإكرامُ صديقِهما) [١٨].

والصلاةُ عليهما "...أي:الدعاء لهما، وليس الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود.

صور البر بالوالدين بعد وفاتهما

من أعظم ما يستهدفه الابنُ البارُّ بعد رحيل والديه أن يُبقي نهرَ البرِّ جاريًا لا ينقطع، ومن ذلك:

- الدعاءُ لهما: وهو أعظمُ هديةٍ تُرفع بها درجاتهما وتتنزّل بها الرحمات عليهما.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (إذا ماتَ الإنسانُ انقَطَعَ عنه عَمَلُه إلَّا مِن ثَلاثةٍ: إلَّا مِن صَدَقةٍ جاريةٍ، أو عِلمٍ يُنتَفَعُ به، أو ولَدٍ صالِحٍ يَدعو له) [١٩].

- الصدقةُ عنهما: كإطعام محتاج، أو نشر علم، أو بناء مسجد.
- الحجُّ أو العمرةُ عنهما: إن لم يؤدِّيا الفريضة.
- تنفيذُ وصاياهما: وفاءً بالعهد وصونًا للأمانة.
- صلةُ الرحم التي لا تُوصَل إلا بهما: امتدادٌ لبرِّهما في حياتهما وبعد مماتهما.
- إكرامُ أصدقائهما: وهو من أصدق دلائل الوفاء وأجمل صور البر.

ويبقى البرُّ بعد الموت امتحانَ صدقٍ لا ينقضي؛ فمن صدق مع والديه في حياتهما، أسهم بعد رحيلهما في رفعة مقامهما، وأبقى أثرَ برّه ممتدًّا لا ينقطع.

عن عائشة أم المؤمنين (رضى الله عنها) أنَّ رَجُلًا قال للنَّبيّ (ﷺ): إنَّ أُمِّي افتُلِتَت نَفسُها، وأظُنُّها لو تَكَلَّمَت تَصَدَّقَت، فهل لَها أجرٌ إن تَصَدَّقتُ عَنها؟ قال: نَعَم) [٢٠]. في هذا الحديث سأل رجلٌ النبيَّ ﷺ عن أمّه التى ماتت فجأةً، هل ينفعها أن يتصدّق عنها؟ فأجابه النبيُّ ﷺ: «نعم»، وفي ذلك دلالةٌ على أن أعمال البرّ من صدقةٍ ودعاءٍ يصل ثوابُها إلى الوالدين بعد وفاتهما، خاصةً إذا نواها الابن عنهم.

النبى يعلمنا البر ويحذرنا من العقوق:

قصة جريج العابد:

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (كان رَجُلٌ في بَنى إسرائيلَ يُقالُ له جُرَيجٌ يُصَلِّى، فجاءَته أُمُّه، فدَعَته، فأبى أن يُجيبَها، فقال: أُجيبُها أو أُصَلِّى، ثُمَّ أتَته فقالت: اللهُمَّ لا تُمِتْه حتَّى تُريَه وُجوهَ المومِساتِ، وكان جُرَيجٌ في صَومعتِه، فقالتِ امرَأةٌ: لَأفتِنَنَّ جُرَيجًا، فتَعَرَّضَت له، فكَلَّمَته فأبى، فأتَت راعيًا، فأمكَنَته مِن نَفسِها، فولَدَت غُلامًا فقالت: هو مِن جُرَيج، فأتَوه وكَسَروا صَومعتَه، فأنزَلوه وسَبُّوه، فتَوضَّأ وصَلَّى ثُمَّ أتى الغُلامَ، فقال: مَن أبوك يا غُلامُ؟ قال: الرَّاعى، قالوا: نَبنى صَومعتَك مِن ذَهَب، قال: لا، إلَّا مِن طِينٍ) [٢١].

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (نادَتِ امرَأةٌ ابنَها وهو في صَومعةٍ، قالت: يا جُرَيجُ، قال: اللهُمَّ أُمِّى وصَلاتِى، قالت: يا جُرَيجُ، قال: اللهُمَّ أُمِّى وصَلاتِى، قالت: اللهُمَّ لا يَموتُ جُرَيجٌ حتَّى يَنظُرَ في وُجوهِ المَيامِيس، وكانَت تَأوي إلى صَومعتِه راعيةٌ تَرعى الغَنَمَ، فولَدَت، فقيلَ لَها: مِمَّن هذا الولَدُ؟ قالت: مِن جُرَيجٍ، نَزَلَ مِن صَومعتِه، قال جُرَيجٌ: أينَ هذه التي تَزعُمُ أنَّ ولَدَها لي؟ قال:

---

(١٨) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب، وأخرجه أبو داود ، وابن ماجه ، وأحمد باختلاف يسير..

(١٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.

(٢١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه واللفظ له، وأخرجه مسلم مطولا.

يا بابوسُ، مَن أبوكَ؟ قال: راعي الغَنَم) [٢٢]. شرح الحديث: بِرُّ الوالدَين له آثارُه الحميدةُ في الدُّنيا والآخِرةِ، وهو أعْلى دَرَجةً في صِلةِ الرَّحِم؛ لأنَّهما أقرَبُ النَّاس رحمًا، وحقُّ الأمِّ أعظَمُ مِن حقّ الأبِ كثيرًا؛ لغَلَبةِ الضَّعفِ عليها، ولكَثرةِ أفْضالِها على وَلدِها؛ أثناءَ حَمْلِها به، ووَضْعِها وإرضاعِها له، وخِدمتِها وشَفَقتِها عليه. وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ (ﷺ) بقِصَّةُ جُرَيْج وكان رجُلًا مُتعبِّدًا مِن بني إسرائيلَ بعْدَ نَبيّ اللهِ عِيسى عليه السَّلامُ مع أُمِّه عندَما نادَتْه وهو يُصلِّي في صَوْمَعتِه، والصَّومعةُ: بَيتٌ مِثلُ الدَّيْر والكَنيسةِ يَنقطِعُ فيه رُهبانُ النَّصارى للعِبادةِ، فقال وهو في صَلاتِه: اللَّهمَّ قد اجتمَعَ حقُّ إجابةِ أمِّي وحقُّ إتمامِ صَلاتي، فوفِّقْني لأفضلِهما، فلم يُجِبْها، ثمَّ نادت عليه مرَّةً ثانيةً وثالثةً، وفي كلّ مرَّةٍ يقولُ قولَه الأوَّلَ، ثمَّ لا يُجيبُها، وعدَمُ إجابتِه لها مع تَرديدِ نِدائِها له يُفهِمُ ظاهرُه أنَّ الكلامَ عندَه يَقطَعُ الصَّلاةَ، وإنَّما سَأَل أنْ يُلقيَ اللهُ في قلْبِه الأفضلَ، ويَحمِلَه على أَوْلى الأمْرَين به، فحمَلَه على الْتزامِ مُراعاةِ حقّ اللهِ تعالَى على حقّ أمِّه، ولَمَّا لم يُجِبْها في الثَّالثةِ، وآثَرَ استمرارَه في صَلاتِه ومُناجاتِه على إجابتِها، واختار الْتزامَ مُراعاةِ حقّ اللهِ على حَقِّها؛ قالتْ أمُّه داعيةً عليه: اللَّهمَّ لا يَموتُ جُريجٌ حتَّى يَنظُرَ في وَجْهِ «المَيامِيس» جمْع مومِسةٍ، وتجمَعُ أيضًا على مومِساتٍ، والمرادُ بهنَّ الفاجِراتُ الزَّانياتُ. وقد كان مِن كَرامةِ اللهِ تعالَى لجُريج أنْ ألْهَمَ اللهُ أُمَّهُ الاقتِصادَ في الدَّعوةِ فلم تَدْعُ عليه بالفِتنةِ بهنَّ، بلْ دعَتْ فقطْ بمُجرَّدِ النَّظر في وُجوهِهنَّ، فلمْ تَقتضِ الدَّعوةُ إلَّا كَدَرًا يَسيرًا، بلْ أعْقَبَتْ سُرورًا كَثيرًا، وفي روايةِ مُسلِم: «ولو دَعَت عليه أنْ يُفتَنَ لَفُتِنَ»! قال: «وكانَتْ تَأْوِي إلى صَوْمعتِه راعِيةٌ تَرْعَى الغَنَمَ»، أي: تَرعَى قُرْبَ صَومعتِه؛ وذلك لِمَا ورَد في روايةٍ أُخرَى للبُخاريّ أنَّها قالتْ: «لأُفْتِنَنَّ جُرَيْجًا، فتعَرَّضَتْ له فكَلَّمَتْه، فأَبَى، فأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا»، وفي روايةِ مُسلم: «وكان راعِي ضَأنٍ يَأوي إلى دَيْره، قال: فخَرَجَت امرأةٌ مِن القَريةِ فوَقَعَ عليها الراعي»، أي: زَنَى بها، فقدَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ الأسبابَ التي ستُحقِّقُ في جُريج دَعوةَ أُمِّه عليه، فحَمَلتْ تلك المرأةُ الزانيةُ حتى انقَضَتْ أيَّامُها، فولَدتْ غلامًا، فسَأَلَها قَومُها عن وَلَدِها هذا، ومَن أبوه؟ فقالتْ: إنَّه مِن جُريج صاحب الصَّومعةِ؛ نَزَل مِن صَومعتِه وأَحْبَلَني هذا الولدَ، فقال جُريجٌ لَمَّا بَلَغَه ذلك: أينَ هذه المرأةُ التي تَزعُمُ أنَّ وَلَدَها لي؟ وذلك بعْدَ أنْ هَدَمَ له القومُ صَومعتَه، وافْتَرَوا عليه قبْلَ أنْ يَتبيَّنَ لهم الحقُّ، كما في روايةِ مُسلم، وقد طَلَبَ أنْ يَأتُوا بالرَّضيع، فأمْسَكَ به، وسَأَلَه: «يا بَابُوسُ» وهو الصَّغيرُ الرَّضيعُ مِن بَني آدَمَ، وقيل: هو اسمُ هذا الرَّضيع بعَينِه، فقال: مَن أبوكَ؟ فقال الرَّضيعُ: أبي الرَّاعي، فأنْطَقَ اللهُ الرَّضيعَ في المَهْدِ كَرامةً لجُريج. وفي الحديثِ: عِظَمُ بِرّ الوالدَين، وإجابةُ دُعائِهما ولو كان الولدُ مَشغولًا، لكنْ يَختلِفُ الحالُ في ذلك بحسَب المقاصدِ. وفيه: أنَّ الأُمَّ هي أَوْلى الأرحامِ بالصِّلةِ. وفيه: أنَّ صاحبَ الصِّدقِ مع اللهِ لا تَضُرُّه الفِتَنُ. وفيه: إثباتُ كَراماتِ الأَوْلياءِ. وفيه: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَجعَلُ لأوليائِه مَخارجَ عندَ ابتلائِهم، وإنَّما يَتأخَّرُ ذلك عن بَعضِهم في بَعض الأوقاتِ تَهذيبًا وزيادةً في الثَّوابِ [٢٣].

الرحم من وصلها وصله الله:

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (خَلَقَ اللهُ الخَلقَ، فلَمَّا فرَغَ منه قامَتِ الرَّحِمُ، فقال: مَهْ، قالت: هذا مَقامُ العائذِ بك مِنَ القَطيعةِ، فقال: ألا تَرضَينَ أن أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأقطَعَ مَن قَطَعَكِ؟ قالت: بَلى يا رَبِّ، قال: فذلك لَكِ، ثُمَّ قال أبو هُرَيرةَ: (فَهَلْ عَسَيتُم إن تَوَلَّيتُم أن تُفسِدوا في الأرض وتُقَطِّعوا أَرْحَامَكُمْ) "محمد: ٢٢") [٢٤].

---

(٢٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه واللفظ له، وأخرجه مسلم.

(٢٣) https://dorar.net/hadith/sharh/٣٩٧٥

(٢٤) أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما.

الجهاد وبر الوالدين أيهما مقدم على الآخر؟

عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه) قال: قال رَجُلٌ للنَّبيّ (ﷺ) أُجاهِدُ؟ قال: (لكَ أبَوانِ؟) قال: نَعَم، قال: (ففيهما فجاهِدْ) [٢٥].

بر الأم غير المسلمة:

عن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) قالت: قدِمَت عليَّ أُمِّي وهي مُشركةٌ في عَهدِ رَسولِ اللهِ (ﷺ) ، فاستَفتَيتُ رَسولَ اللهِ (ﷺ) ، قُلتُ: وهي راغِبةٌ، أفأَصِلُ أُمِّي؟ قال: نَعَم، صِلي أُمَّكِ[٢٦].

وفي رواية تقول أسماء: أتَتني أُمِّي راغِبةً، في عَهدِ النَّبيّ (ﷺ)، فسَألتُ النَّبيَّ (ﷺ): آصِلُها؟ قال: (نَعَم)، قال ابنُ عُيَينةَ: فأنزَلَ اللهُ تَعالى فيها: (لا يَنهاكُمُ اللهُ عَنِ الذينَ لَمْ يُقاتِلوكُم في الدِّين) "الممتحنة: ٨") [٢٧].

الصِّلةُ والبِرُّ مِن أخلاقِ الإسلامِ الحَميدةِ التي غَرَسَها في نُفوسِ المسلمينَ وربَّاهم عليها، ولم تَقتصِرِ الصِّلةُ والبِرُّ على المسلمينَ فحسْبُ، بلْ شَمِلَت غيرَ المسلمينَ، لا سيَّما مَن تَربِطُهم بالمسلمينَ رَوابِطُ نَسبٍ، كالوالدين والإخوةِ والأقاربِ. وفي هذا الحديثِ تَحكي أسماءُ بنتُ أبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّها قَدِمَت عليها أمُّها قُتَيلةُ بنتُ عبْدِ العُزَّى وهي مُشركةٌ، في زمَنِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وفي روايةِ الصَّحيحينِ: «أنَّها قَدِمَت في عهْدِ قُريشٍ إذ عاهَدَهُم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ»، وأرادتْ بذلك أنَّها قَدِمَت فيما بيْنَ صُلحِ الحُديبيةِ وفتْحِ مكَّةَ. وكانت أسماءُ رَضيَ اللهُ عنها وقْتَها زَوجةً للزُّبيرِ بن العوَّامِ رَضيَ اللهُ عنه، فاستَفْتَت أسماءُ رَضيَ اللهُ عنها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ أُمَّها راغبةٌ في بِرِّها، والقُربِ منها والتَّودُّدِ إليها؛ لأنَّها ابتَدَأَت أسماءَ بالهديَّةِ، ورَغِبَت منها في المُكافأةِ، أو راغبةٌ في شَيءٍ تَأخُذُه مِن ابْنَتِها أسماءَ، أو راغبةٌ عن الإسلامِ غيرُ مُقبِلةٍ عليه، فهلْ تَصِلُها وهِي لا تَزالُ على كُفْرِها؟ فأجابَها صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «نعَم صِلِي أُمَّكِ»، أيْ: ولو كانت كافرةً. وفي الحديثِ: مَشروعيَّةُ صِلةِ الرَّحِمِ الكافرةِ. وفيه: فَضيلةُ أسماءَ بنتِ أبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنهما، حيث تَحرَّتْ في أمْرِ دِينِها [٢٨] .

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

ثلاث وصايا ناجعة في بر الوالدين وأيضا صلة الرحم:

وفي النهاية، أؤكِّدُ على ثلاثِ نقاط مهمَّة جدًّا:

الأولى: أنَّ علاقاتِ الرَّحم عموما تحتاجُ إلى مزيدٍ من الصَّبر والمجاهدة، فكنْ دائمًا مُحسنًا وإن لم تلقَ إحْسانًا من الناس.. كنْ مُحسنًا ليس لأجلِهم، ولكن لأنَّ الله يحبُّ المُحسنين.

الثَّانية: ضرورةُ إصلاح ذاتِ البَين بشكلٍ مُستَدام، وتحمُّل الصعاب في سبيلِ ذلك، قال تعالى: (فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ) (الأنفال:١)، قال (صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ): (أَلَا أَدُلُّكُم على أَفْضَلَ من درجةِ الصلاةِ والصيامِ

(٢٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.
(٢٦) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.
(٢٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.
(٢٨) الدرر السني الحديثية.

والصدقةِ؟) قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ. قال: (إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ. لا أقولُ: إنها تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ)(٢٩).

الثَّالثة: كنْ دائمًا هيِّنًا لينًا؛ تأسِّيًا بما وصفَ اللهُ (عزَّ وجلَّ) به نبيَّه الكريم (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩).

***

ويبقى العيد فرصةٌ عظيمة لإحياء معاني البر. فمن الناس من يفرح بالعيد في الأسواق والزيارات، غير أنَّ البركة الحقيقية تبدأ حين يُفتح باب الوالدين. فيا من أدرك والديه: اجعل أول خطاك في العيد إليهما. ويا من فقدهما: فباب البر ما زال مفتوحًا بالدعاء والصدقة والوفاء.

نسأل الله أن يجعلنا من البارِّين بآبائنا وأمهاتنا، أحياءً وأمواتًا، وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم.

فهيا بنا نسير في طريق الله، ونمد أيدينا إليه، ونطرق أبوابه في الأسحار، ونناجيه بصدقٍ في الأسفار، ونرجوه أن يكشف لنا الأسرار، عسى أن يفتح لنا من خزائن رحمته، ويرفع عن أمتنا البلاء، ويهدينا سواء السبيل.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ وَصَالِحَ الأَعْمَالِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ... اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَوْلَادَنَا، وَأَصْلِحْ بِهِمْ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ، وَاحْفَظْهُمْ مِمَّنْ حَوْلَهُمْ، وَاجْعَلْهُمْ مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ. وفقنا الله تعالى لصيام نهارها وقيام ليلها مرات ومرات... يا رب العالمين. نسأل الله أن يحفظ أوطاننا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، وهيّئ لهم البطانة الصالحة الناصحة، ووفقهم لما فيه خير العباد والبلاد. اللَّهُمَّ احفظ شبابنا من الفتن، وألّف بين قلوبنا، ووفّقنا للعمل الصالح الذي يرضيك عنا. اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين. اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ..) (الأعراف:٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.c m

يُرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(**معارج_الدعاة خُطب منبرية وقضايا فكرية وتربوية معاصرة د. أحمد علي سليمان؛ لمتابعة كل جديد**

https://www.facebook.com/share/p/18MRoUZk8D/

(٢٩) غاية المرام– صحيح.